المبحث الخامس عشر: شجاعته

لاشك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغى، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شراً، ومن هذه الأمثلة يجد الإنسان أن النبي خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، وقد أرسل ستاً وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، وقاتل بنفسه في تسع من غزواته[1]، ومن ذلك الأمثلة الآتية:

المثال الأول: شجاعته في معركة بدر الكبرى

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شُرِطَ له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما

---

[1] () انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، 12/436.

يمنعون منه أنفسهم وأمـوالهم وأبنـائهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصـل أي شـــرط، فـــأراد أن يستش يرهم، فجمعهم واستشارهم، فقام أبو بك ر – – فقال وأحسن، ثم عمر بن الخط اب – – فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقـام المِقْـدَاد فقـال: يـا رسـول اللـه، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقـول لـك كمـا قـالت بنـو إسـرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربـك فقـاتلا إنا معكم مقـاتلون، [نقاتـل عـن يمينـك، وعـن شـمالك، ومـن بيـن يـديك، ومـن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمـت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بـن معـاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكـان النـبي يعنيه م، لأنه م ب ايعوه عل ى أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديـارهم، فلمـا عـزم علـى الخـروج استشـارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال لـه سـعد: لعلـك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليهـا أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاظعن حيـث شـئت، وصـل حبـل مـن شـئت، واقطـع

حبـل مـن شـئت، وخـذ مـن أموالنـا مـا شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخـذت منـا كان أحب إلينـا ممـا تركـت، ومـا أمرتنـا فيه من أمر فأمرنـا تبـع لأمـرك، فـوالله لئن سرت حتى تبلغ الـبرك مـن غمـدان لنسيرن معـك، والـذي بعثـك بـالحق لـو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْتَهُ لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقـى بنـا عـدواً غـداً، إنـا لَصُـبُرٌ فـي الحـرب، صُـدقٌ فـي اللقـاء، ولعـل اللـه يريك منا ما تقرُّ به عينك، فَسِرْ بنا علـى بركة اللـه، فأشـرق وجـه رسـول اللـه ﷺ وسُرَّ بما سمع، ونَشَّطه ذلـك، ثـم قـال: **«سـيروا وأبشـروا، فـإن اللـه قـد وعدني إحدى الطائفتين؛ ولكـأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»**[1].

ومـــن مـــواقفه العظيمـــة فـــي بـــدر:

---

[1] () انظر: سيرة ابن هشام 2/253، وفتح الباري 7/287، وزاد المعاد 3/173، والرحيق المختوم ص 200، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿ ... ﴾ 7/287، برقم 3952، وكتاب التفسير 8/273، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر 3/1403، برقم 1779، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر 2/194.

اعتماده على ربه – تبارك وتعالى –؛ لأنه قد علم أن النصر لا يكـون بكـثرة العـدد ولا العدة، وإنما يكـون بنصـر اللـه – عـز وجـل – مـع الأخـذ بالأسـباب والاعتمـاد على الله.

عن عمر بن الخطـاب – ﷺ – قال: لما كـان يـوم بـدر نظـر رسـول اللـه ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصـحابه ثلاثمائـة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نـبي اللـه ﷺ القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربـه[1]: **«اللهـم أنجـز لـي مـا وعـدتني، اللهم إن تهلك هـذه العصـابة مـن أهل الإسلام لا تعبد فـي الأرض»**، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه، مُسـتقبل القبلة، حـتى سـقط رداؤه عـن منكـبيه، فأتاه أبو بكر، فأخـذ رداءه فألقـاه علـى منكبيه، ثم التزمه مـن ورائـه، وقـال: يـا نـبي اللـه كفـاك مناشـدة ربـك، فـإنه سينجز لك ما وعدك، فـأنزل اللـه – عـز وجـل -: ﴿ [illegible] ﴾[2] فأمده الله

---

[1] () يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي 12/84.

[2] () سورة الأنفال، الآية: 9.

بالملائكة[1].

وقد خرج رسول الله من العريش وهو يقول: [2].

وقاتل في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر – – كما كانا في العريش يُجاهِدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرَّضا، وحثَّا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين[3].

وكان أشجع الناس الرسول ، فعن علي بن أبي طالب – – قال: (لقد رأيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو، **وكان من أشد الناس يومئذ بأساً**)[4].

---

1 () أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر 3/1383، برقم 1763، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: 7/287، برقم 3952، وانظر: الرحيق المختوم ص 208.

2 () سورة القمر، الآية: 45، والحديث في البخاري مع الفتح 7/287.

3 () انظر: البداية والنهاية 3/278.

4 () أخرجه أحمد في المسند 1/86، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي 2/143.

وعنه – ﷺ – قال: كنا إذا حمي البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسـول اللـه ﷺ فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه)[5].

المثـال الثـاني: شـجاعته ﷺ فـي غزوة أحد

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره علـى أذى قـومه مـا فعلـه ﷺ في غزوة أحد، فقد كان ﷺ يقاتل قتالاً عظيماً؛ فـإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين علـى المشـركين، فـانهزم أعـداء اللـه وولـوا مدبرين حتى انتهـوا إلـى نسـائهم، فلمـا رأى الرمـاة هزيمتهـم تركـوا مركزهـم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنـه ليـس للمشـركين رجعـة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبـل فكرّ فرسـان المشـركين فوجـدوا الثغـر خالياً قـد خلا مـن الرُّمـاة فجـازُوا منـه، وتمكّنـوا حـتى أقبـل آخرهـم فأحـاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكـرم منهـم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلـص المشـركون إلـى رسـول اللـه ﷺ فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنـى،

---

5 () الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي 2/143، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية 3/279، إلى النسائي.

وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول الله ﷺ[1].

وكان حول النبي ﷺ رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهقوه، وقربوا منه: «**من يردُّهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[2].

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي ﷺ إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصّمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله ﷺ أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟

---

1 () انظر: زاد المعاد 3/196، 199، والرحيق المختوم ص 255، 256.

2 () أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد 3/1415، برقم 1789.

فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله ﷺ بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجةٍ بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدحرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة[1].

المثال الثالث: شجاعته ﷺ في معركة حنين

---

[1] انظر: زاد المعاد، لابن القيم 3/199، والرحيق المختوم ص 263، وروى قصة قتل النبي ﷺ لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد ابن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير 4/32، وكلاهما مرسل، والطبري 2/67، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي ص 226.

بعــد أن دارت معركــة حنيــن والتقــى المسـلمون والكفـار، ولّـى المسـلمون مدبرين[1]، فطفق رسول اللـه يركض بغلتـه قِبَـلَ الكفـار... ثـم قـال: «**أي عباس، ناد أصحاب السمرة**» فقـال عباس: -وكان رجلاً صيِّتاً – فقلت بأعلى صـوتي: أيـن أصـحاب السـمرة؟ قـال: فـوالله لكـأن عَطفَتهـم حيـن سـمعوا صوتي عَطفَة البقر على أولادها، فقالوا:

يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظـر رسـول اللـه وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال : «**الآن حمي الوطيس**»[2].

وظهرت شجاعة النبي التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال[3].

وسئل البراء، فقال لـه رجل: يا أبا

---

1 () كان مع النبي في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد 3/468.

2 () مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه 3/1398، برقم 1775.

3 () انظر: الرحيق المختوم ص401، وهذا الحبيب يا محب ص408.

عمارة، أكنتم وليتم يـوم حنيـن؟ قـال: لا والله ما ولّى رسول الله ، ولكنه خرج شـبان أصـحابه[1] وأخفـاؤهم[2] حسـراً[3] ليس عليهم سلاح أو كـثير سـلاح، فلقـوا قومـاً رمـاة لا يكـاد يسـقط لهـم سـهم، جمـع هـوازن، وبنـي نصـر، فرشـقوهم رشـــقاً[4]، مـــا يكـــادون يخطئـــون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول اللـه وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

اللهم نزِّل نصرك[5]

---

1 () جمع شباب. شرح النووي لمسلم 12/117.

2 () جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم 12/117.

3 () حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم 12/117.

4 () رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهام التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي 12/118.

5 () مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات 3/1400، برقم 1776، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر 6/150، 8/27، 28، برقم 2930.

قال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس[1] نتقي به، وإن الشجاع منـا للـذي يحـاذي به، يعني النبي ﷺ [2].

وفي روايـة لمسـلم عـن سـلمة قـال: مـررت علـى رسـول اللـه ﷺ منهزمـاً[3]، وهو على بغلتـه الشـهباء، فقـال رسـول اللـه ﷺ: **«لقـد رأى ابـن الأكـوع فزعاً»**. فلما غشوا رسـول اللـه ﷺ نـزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل بـه وجـوههم، فقـال: **«شاهت الوجوه»**[4]، فمـا خلـق اللـه منهـم إنسـاناً إلا ملأ عينيـه ترابـاً بتلـك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهـم اللـه – عز وجل -، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين[5].

---

1 () إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي 12/121.

2 () رواه مسلم في كتابا الجهاد والسير، باب غزوة حنين 3/1401، برقم 79 -(1776).

3 () قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي – ﷺ -. انظر: شرح النووي 12/122.

4 () شاهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي 12/122.

5 () أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين 3/1402، برقم 1777.

وقـد قـال العلمـاء: إن ركـوب النـبي البغلة في موضع الحـرب وعنـد اشـتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبـات؛ ولأنه أيضـاً يكـون معتمـداً يرجـع النـاس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكـانه، وإنمـا فعـل هـذا عمـداً، وإلا فقـد كـانت لــه أفراس معروفة.

ومما يدل على شـجاعة تقـدمه وهـو يركض بغلته إلى جمـع المشـركين، وقـد فر الناس عنه، ونزوله إلـى الأرض حيـن غشـوه مبالغـة فـي الشـجاعة والصـبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نـازلاً على الأرض مـن المسـلمين، وقـد أخـبر الصحابة – رضي الله عنهم – بشجاعته في جميع المواطن[1].

المثـال الرابـع: شـجاعته فـي الحماية لأصحابه

روى البخاري ومسلم، عن أنــس – – قال: كان النبي أحسن النـاس، وأجـود الناس، وأشجع النـاس، ولقـد فـزع أهـلِ المدينة ذات ليلة، فـانطلق النـاس قِبَـلَ الصـوت، فاسـتقبلهم النـبي قـد سـبق

1 () انظر: شرح النووي على مسلم 12/114.

الناس إلـى الصـوت، وهـو يقـول: **«لم تراعوا، لم تراعوا»**، وهو على فـرس لأبي طلحـة عـري مـا عليـه سـرج، فـي عنقــه ســيف، فقــال: **«لقــد وجــدته بحراً، أو إنه لبحر»**[1].

وهذا المثال وغيره من الأمثلـة السـابقة تدل دلالة واضحة على أن أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله ، وقد شهد لـه بذلك الشجعان الأبطال[2].

قـال الـبراء – -: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشـجاع منـا للـذي يحاذي به، يعني النبي)[3].

وقال أنس في الحـديث السـابق: كـان النـبي أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...).

---

[1] () البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل 10/455، برقم 6033، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي وتقدمه للحرب 4/1802، برقم 2307 .

[2] () انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي في مسند أحمد 1/86، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي 2/143، وتقدم تخريجها في آخر المثال الأول من شجاعة النبي في غزوة بدر.

[3] () أخرجه مسلم، 3/1401، برقم 79 – (1776)، وتقدم تخريجه.

المثال الخامس: شجاعته العقلية ﷺ

كانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملي وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل ﷺ عن كلمة «**بسم الله الرحمن الرحيم**» إلى بسمك اللهم وعن كلمة «**محمد رسول الله**» إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي ﷺ رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلاّ ردّه إلى أهل مكة، وقد اغتاظ الصحابة غيظاً عظيماً، وبلغ الغضب حدًّا لا مزيد عليه، وهو ﷺ صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا

تضره بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها[1].

وجميع ما تقدم نماذج من شجاعته ﷺ وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته ﷺ بالاستقصاء لكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله – عز وجل – أن يتخذوا الرسول ﷺ قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، [illegible][2].

[1] () انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح 5/329، برقم 2731، 2732، وشرح الوثيقة في الفتح 5/333-352، ومسند أحمد 4/328-331، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ ص 532.

[2] () سورة الأحزاب، الآية: 21.